حولية الكوفة

دورية سنوية، تعنى بالدراسات والبحوث التراثية والمعاصرة المتخصصة بشؤون مدينة الكوفة ومسجدها المعظم
تصدر عن أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به ـ العدد الخامس ـ شهر رمضان ـ ١٤٣٦ هـ / تموز ـ ٢٠١٥ م

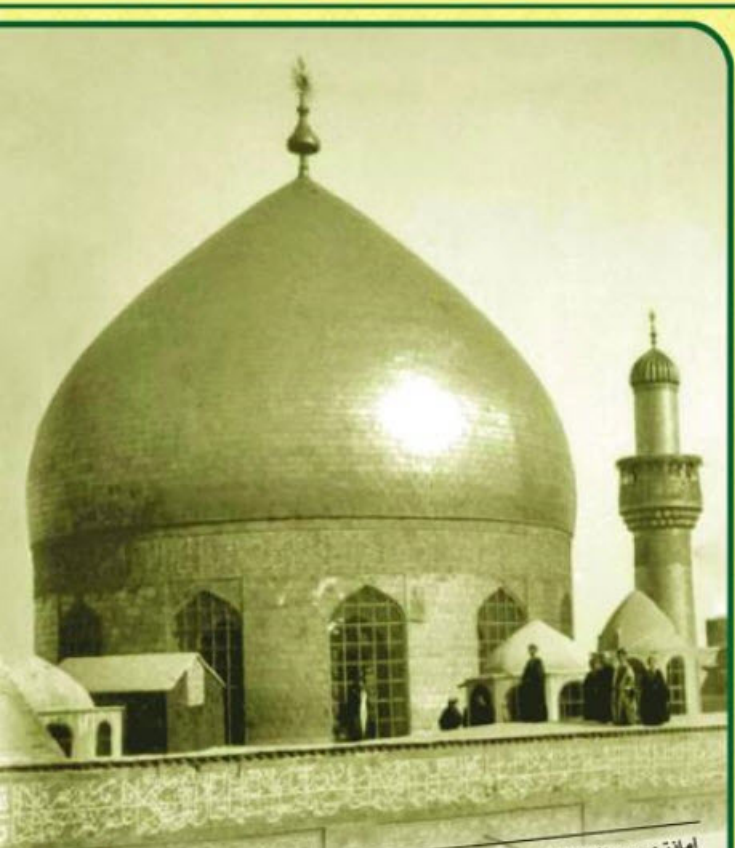

أمانة مسجد المعظم تحتفل بمناسبة مرور ١٤٠٠ عام على اختيار الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
الكوفة عاصمة لحكومته المباركة عام ٣٦ للهجرة

٥

ديوان الوقف الشيعي
أمانة مسجد الكوفة
والمزارات الملحقة به

المشرف العام
السيد موسى تقي الخلخالي

رئيس التحرير
د. كامل سلمان الجبوري

العلاقة بين الإمام علي(عليه السلام) وأخيه عقيل في الحجاز والكوفة

الدكتور جعفر حسين حنوش

أمين عام مكتبة آل حنوش العامة في النجف

كان لأبي طالب اربعة أبناء من الذكور وهم: طالب وهو الأكبر ثم يليه عقيل وهو أصغر منه بعشر سنوات ثم جعفر وهو أصغر من عقيل بعشر سنوات ثم آخرهم الإمام علي (عليه السلام) وهو أصغر من جعفر بعشر سنوات[1] وكان هؤلاء الإخوان يعيشون عيشة سعيدة مع أبيهم شيخ قريش أبي طالب وكانت العلاقات بينهم على أحسن ما يرام رغم شظف العيش والحياة الصعبة التي يعيشونها وذلك لكثرة عيال أبيهم حتى يروي عقيل بن أبي طالب أنهم في بعض الأيام كانوا لا يملكون شيئاً من الطعام ليفطروا به فيقول لهم أبو طالب اذهبوا إلى بئر زمزم فاشربوا منها وقد نقل عن محمد بن عقيل بن أبي طالب عن ابيه يقول: ((كنا إذا أصبحنا وليس عندنا طعام لصبوحنا يقول أبو طالب ائتوا زمزم فنأتي زمزم فنشرب منها فنجتزي به))[2].

على الرغم من هذه المواقف الصعبة فأن علاقة الأخوة الأربعة كانت جيدة فيما بينهم وخاصة العلاقة بين عقيل والإمام علي (عليه السلام) لأن عقيلا كان يكبر الإمام علي (عليه السلام) بعشرين سنة، فكان بمثابة الأب لأخيه علي (عليه السلام)، كذلك كان عقيل مؤمناً بالنهج الذي سار عليه الإمام علي (عليه السلام) والمسيرة التي أرادها الإمام علي (عليه السلام) في رفع لواء الدين الإسلامي الحنيف وإرساء المرتكزات الإنسانية التي جاءت بها الرسالة المحمدية.

كان الإمام (عليه السلام) يتصف بصفات ميزته عن أخوته الذين كانوا يمتلكون بعض الخصائص فنقلت اسماء بنت عميس زوجة جعفر بن أبي طالب عن أخت الإمام علي (عليه السلام) أم هاني أنها قالت: ((كان علي من أجود الناس وكان أبوه يوجه معه باللطف إلى بعض اهله فيقول: يا أبه ، هذا قليل فزده ثم يأتي أمه ، فاطمة بنت أسد فيقول: يا أمه زيدي عليه من نصيبي فتفعل ولقد كان يدفع إليه والى عقيل الشيء يسوي بينهما فيميل عقيل عليه ويقول له اعطيت أنت اكثر مما اعطيت انا فيضع علي نصيبه بين يديه ويقول له: خذ منه ما تريد))[3]. هذه العلاقة الطيبة بين الأخوين حاول بعض المؤرخين أن يرسمها بغير الشكل الصحيح من خلال وضع بعض الأحاديث عن لسان الإمام علي (عليه السلام) وذلك لا يجاد ما ينقص من قدر عقيل ويحط من منزلته وسوف نستعرض بعضاً منها والتي تخلو تماماً من الموضوعية وعلى سبيل المثال:

في رواية مفادها ان الإمام علياً (عليه السلام) قال: ((مازلت مظلوماً منذ ان قبض الله نبيه حتى يوم الناس هذا، وقد كنت أُظلم قبل ظهور الإسلام ولقد كان أخي عقيل يذنب أخي جعفر فيضربني))[4].

كما روي عن الإمام علي (عليه السلام) ان أعرابياً أتى الإمام وهو في مسجد الكوفة فقال: ((مظلوم قال: ادن مني فدنا حتى وضع يديه على ركبتيه قال: ما ظلامتك فشكا ظلامته فقال: يا أعرابي أنا أعظم ظلامة منك.. ولم يبق بيت من العرب الا وقد دخلت مظلمتي عليهم ومازلت مظلوماً حتى قعدتُ مقعدي هذا ان كان عقيل بن أبي طالب يومه ليرمد فما يدعهم يذرونه[5]حتى يأتوني فاذرو ما بعيني رمد ثم كتب له بظلامته ورحل))[6].

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج٤، ص٥٨.

(٢) المقريزي، امتاع الاسماع، ج ٤، ص ١٠٠.

(٣) القاضي الكوفي ، مناقب أمير المؤمنين، ج٨، ص ٦٩.

(٤) ابن أبي الحديد، شرح النهج، ج٢، ص٢٨٣.

(٥) ذر الدواء في العين- الذرور- اسم الدواء اليابس للعين، الفراهيدي،: كتاب العين، ج، ص١٧٥.

(٦) الطوسي ، كتاب الامالي، ص٣٥؛ الروائدي، الخرائج والجوارح، ج١، ص١٨٠؛ ابن شهر آشوب، المناقب، ج١، ص٣٧٨؛ المجلسي، بحار الانوار، ج٤٢، ص١٨٧.

ان هذه النصوص هي واضحة الضعف في المتن فضلاً عن كونها تشتمل على الضعف في السند ولذا لا يمكن قبولها وذلك لأن الفارق الزمني بين ولادة الإمام(عليه السلام) وعقيل مقداره عشرون سنة فلا يمكن ان يطلب عقيل من أبيه أو أمه أن تذر الدواء في عين طفل صغير قد يكون عمره سنة واحدة او سنتان وأخوه الكبير عمره واحدة وعشرون سنة ثم ان المحبة بين عقيل واخيه عميقة وقد شاهد الآيات الباهرة من أخيه الإمام منذ ولادته في بيت الله الحرام[1].

وكان عقيل هو الأخ الأكبر للإمام علي(عليه السلام) ولذا فقد كان لعقيل الدور البارز في مساعدة الإمام علي(عليه السلام) في زواجه من سيدة نساء العالمين السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) وكان هو الذي يجهز أدوات بيت الإمام علي(عليه السلام) وبعد استكمال هذه الأدوات ابلغ الإمام أخاه عقيلاً بانه أكمل أدوات البيت[2] وبقي أن يخبر عقيل النبي محمداً(صلى الله عليه وآله) بذلك ليتم الزواج وكان الإمام علي(عليه السلام) لم يعاود رسول الله(صلى الله عليه وآله) استحياءً في أمر الزواج من فاطمة ويذكر الإمام علي ذلك بقوله: ((فلما كان بعد شهر دخل عليَّ أخي عقيل فقال: والله يا أخي ما فرحت بشيء قط كفرحي بزواجك من فاطمة ابنة رسول الله(صلى الله عليه وآله) يا أخي فما بالك لاتسأل رسول الله(صلى الله عليه وآله) ان يدخلها عليك فتقر اعيننا باجتماع شملكما فقلت: والله يا أخي اني لأحب ذلك وما يمنعني ان أسأل رسول الله(صلى الله عليه وآله) ذلك إلا حياءً منه فقال: اقسمت عليك ألا قمت معي تريد النبي(صلى الله عليه وآله)... فقال رسول الله(صلى الله عليه وآله): اتحب ان تدخل عليك زوجتك فقلت وانا مطرق نعم فداك أبي وامي فقال نعم وكرامة يا ابا الحسن ادخلها عليك في ليلتنا هذه أوفي ليلة غد ان شاء الله))[3].

ويروي لنا الزنجاني[4] رواية مشابهة لتلك الرواية ولكن فيها توسط أم ايمن بين الإمام علي (عليه السلام) وعقيل والنبي محمد (صلى الله عليه وآله) فيقول: ((قال علي (عليه السلام) ومكثت شهراً لا أعاوده حياءً، ولكن كلما خلا بي يقول لي (يا علي زوجتك سيدة نساء العالمين) فلما انتهى شهر دخل عليّ عقيل وقال: ما فرحت بشيء كفرحي بتزوجك، فان تدخل قرت أعيننا باجتماع النسل، فقلت: والله أني أحب ذلك ولكني استحي أن اقول له (صلى الله عليه وآله)، فقال عقيل: اقسمت ألا قمت معي، فقمت معه نريد رسول الله (صلى الله عليه وآله) فرأينا في الطريق أم أيمن مولاته وذكرنا لها ذلك فقالت: مهلاً حتى أكلمه فأن كلام النساء أوقع في النفس))[5]. ويمثل هذا الخبر مدى مشاركة عقيل لنساء النبي(صلى الله عليه وآله) في التوسط في القضايا الخيرية العامة وفي هذه القضية فهي تخص أخاه الذي يعتبر نفسه مسؤولا عنه وبمثابة أبيه.

ذكر ابن شهراشوب تفاصيل وليمة العرس التي اقامها عقيل بن أبي طالب لزواج أخيه الإمام علي (عليه السلام) فذكر: ((فلما كان صباح يوم الخميس عمد عقيل إلى جزور فنحره و نحر اغناماً كثيرة وعملوا وليمة العرس وكان ذلك ليلة الجمعة وأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) ان ينادى في شوارع المدينة، واجتمع الناس من كل فج عميق))[6]. وهذا يدل على ان عقيلاً كان يتصرف تصرف الاب وكامل الرعاية لأخيه الإمام علي (عليه السلام) في معاونته في أمور زواجه، وأموره الأخرى، ومن الجدير بالذكر أنّه أخذ دور الأبوّة الطبيعي بعد فقدان أخيهم الأكبر طالب.

وقد زفت الزهراء لعلي (عليه السلام) وقد شارك في زفافها الحمزة وعقيل وفي ذلك ذكر الخوارزمي: ((وكان النبي(صلى الله عليه وآله) أمامها.. حتى طلع الفجر وحمزة وعقيل وأهل البيت يمشون خلفها وأمر النبي(صلى الله عليه وآله) بنات عبد المطلب ونساء المهاجرين

(١) ينظر: المقرم، الشهيد مسلم بن عقيل، ص٣٠.

(٢) وعن ذكر مهر فاطمة الزهراء وعن صداق المهر وما جهزت به الزهراء في زواجها كتب الخوارزمي عن ذلك: ((فقام رسول الله(صلى الله عليه وآله) فقال يا ابا الحسن انطلق الان فبع درعك واتني بثمنه حتى اهيئ لك ولا بتني فاطمة ما يصلحكما قال علي(عليه السلام): فأخذت درعي فانطلقت به إلى السوق فبعته بأربعمائة درهم سود هجرية من عثمان بن عفان فلما ان قبضت الدراهم منه وقبض الدرع مني قال لي: يا ابا الحسن الست أولى بالدرع منك وأنت اولى بالدراهم مني فقلت: نعم قال فان الدرع هدية مني اليك قال فاخذت الدراهم والدرع واقبلت إلى رسول الله(صلى الله عليه وآله) فطرحت الدرع والدراهم بين يديه واخبرته بما كان من امر عثمان فدعا له النبي(صلى الله عليه وآله) بخير وقبض رسول الله قبضة ودعا أبا بكر فدفعها إليه وقال: يا ابا بكر اشتر بهذه الدراهم لا بتني ما يصلح لها من بيتها وبعث معه سلمان الفارسي وبلال بن حمامة ليعينا على حمل ما يشتري لها قال أبو بكر: وكانت الدراهم التي دفعها إلى رسول الله(صلى الله عليه وآله) ثلاثة وستين درهماً قال: فانطلقت إلى السوق فاشتريت فراشاً من خيش مصر محشوا بالصوف وقطعاً من ادم ووسادة من ادم محشوة ليف النخيل وعباءة خيبرية وقربة للماء وقلت هي خادمة البيت وكيزانا وجراراً ومطهرة للماء وستر صوف رقيق وحملت انا بعضه وسلمان بعضه وبلال بعضه واقبلنا به فوضعناه بين يدي رسول الله(صلى الله عليه وآله) فلما نظر إليه بكى وجرت دموعه على لحيته ثم رفع راسه إلى السماء وقال: اللهم بارك لقوم جل آنيتهم الخزف قال علي بن أبي طالب(عليه السلام): ودفع رسول الله باقي ثمن الدرع إلى ام سلمة وقال ارفعي هذه الدراهم عندك ومكث علي(عليه السلام) بعد شهر لم يعاود النبي(صلى الله عليه وآله) في امر زواجه)) للمزيد ينظر: الخوارزمي، المناقب،ص٣٤٨- ٣٤٩.

(٣) الخوارزمي، المناقب، ص٣٤٩؛ التبريزي، محمد علي الانصاري، اللمعة البيضاء في شرح خطبة الزهراء، مؤسسة الهادي (قم، ١٤١٨هـ)، ص٢٥٩- ٢٦٠.

(٤) الزنجاني،الموسوعة الكبرى، ج٣، ص٢٩٥.

(٥)الزنجاني، اسماعيل ، الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء، مطبعة تكارش، (قم ، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٨م) ج٣، ص٢٩٥.

(٦) المناقب،ج٣،ص١٣٠؛الهيثمي، مجمع الزوائد،ج٤،ص٢٠٤؛ المجلسي،بحار الانوار،ج٤٣،ص٢٨٤؛ الدربندي، اغا بن عابد الشيرازي الحائري، إكسير العبادات في اسرار الشهادات المقتل الملم بمأساة الحسين، شركة المصطفى، (المنامة، ١٩٩٤م)، ج١، ص٣١٦.

والانصار ان يمضين في صحبة الزهراء))[1].

ويروي ابن شهر آشوب ان الحمزة وعقيل كانا يمشيان وراء الموكب شاهرين سيفيهما وهذه دلالة على شجاعتهماومكانتهما الاجتماعية بين المسلمين[2].

وروي ان النبي(صلى الله عليه وآله) حين عقد النكاح اقبل على الإمام علي(عليه السلام) وعقيل بن أبي طالب فأزرهما ببردين[3] يمانيين وقال: ((انقلا الماء على اهل التوحيد وقال: اعلم يا علي ان خدمتك للمسلمين افضل من كرامتك لهم))[4].

وبعد وفاة السيدة فاطمة الزهراء(عليها السلام) طلب الإمام علي من أخيه عقيل ان يختار له امرأة ولدتها الفحول من العرب فأشار عليه بالزواج من ام البنين فاطمة الكلابية وقد ذكرنا ذلك سابقاً.

وكان عقيل ينوب عن الإمام علي(عليه السلام) أذا صادف ان وقعت عليه خصومة، وفي ذلك يذكر ابن شبّة عن الشافعي وغيره من الرواة: ((إنّ علياً كان لا يحضر الخصومة ويقول: ان الشيطان يحضرها، وقد كان جعل الخصومة إلى عقيل بن أبي طالب فلما كبر ورقّ حولّها إليّ فكان إذا دخلت عليه خصومة أو نوزع في شيء قال: عليكم بعبد الله بن جعفر))[5].

كان عقيل دائماً حاضر الجواب وذكياً ويعرف كيف تدار الامور في الخصومة وقد شهد السرخسي بذلك: ((إنّ علياً كان يختار عقيلاً لحضور الخصومة بدلاً منه لأنه كان ذكياً حاضر الجواب))[6].

وفي مجلس من مجالس أبي بكر وعمر بن الخطاب ذكر بعض المؤرخين ان الإمام علياً قال وهو يوكل أخاه عقيلاً في ذلك المجلس: ((هذا عقيل فما قضى عليه فعليّ وما قضى له فلي، وروي عن الإمام كذلك انه قال: ان للخصومة قحماً وان الشيطان يحضرها، ويروى انه في مجلس عثمان بن عفان وكّل الإمام علي(عليه السلام) عبد الله بن جعفر ولم ينكر أحد من أصحابه ذلك))[7].

خاض الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) معارك ثلاث في خلافته بين عام ٣٥- ٤٠هـ وسوف نتطرق إلى احاديث بعض المؤرخين الذين كتبوا عنها وثمة سؤال هل ان عقيل بن أبي طالب أشترك فيها؟

فقد ذكر البلاذري: ((ان عقيل بن أبي طالب كان مع أخيه أمير المؤمنين(عليه السلام) في حرب الجمل[8] وصفين[9] والنهروان))[10][11].

ويؤيد ما ذهب إليه البلاذري المؤرخ البكري فيقول: ((ان عقيل بن أبي طالب كان قد شهد صفين إلى جانب أخيه أمير

---

(١)المناقب،ص٢٣٥؛ابن شهر اشوب،المناقب،ج٣،ص١٣٠؛المجلسي ، بحار الانوار،ج٤٣،ص٢٨٥؛ الحائري ، محمد مهدي المازندراني، شجرة طوبى، دارالفقه للطباعة ، (قم، ١٤٢٥هـ) ج٢، ص٢٤٩.

(٢) ابن شهر آشوب، المناقب، ج٣، ص١٣٠.

(٣) بردين: ومفردها برد وهو كساء اسود مربع فيه صغر يكتسيه العرب للمزيد ينظر: الطريحي، فخر الدين، (ت١٠٨٥هـ) مجمع البحرين، تحقيق احمد الحسيني، مكتب نشر الثقافة، (قم، ١٣٩٥هـ) ج١، ص١٨١.

(٤) ابن رستم الطبري، أبو جعفر بن جرير(ت، اواخر القرن الرابع هـ) دلائل الامامة، مؤسسة البعثة، (قم، ١٤١٣هـ)، ص٩٥؛ النوري، حسين، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، مؤسسة ال البيت لاحياء التراث (بيروت، ١٩٨٧م)، ج١٤، ص١٩٩.

(٥) ابن شبه، تاريخ المدينة المنورة، ج٣، ص١٤٢.

(٦) السرخسي، كتاب المبسوط، ج١٩،ص٣.

(٧) زيد، زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، (ت١٢١هـ)، مسند زيد بن علي، تحقيق احد علماء المذهب الزيدي، دار الحياة، (بيروت، د.ت)، ص٢٩١؛وينظر الشافعي، أبو عبد الله محمد بن ادريس، (ت، ٢٠٤هـ) كتاب الأم، دار الفكر، (بيروت، ١٩٨٠)، ج٣، ص٢٣٧؛ الطوسي، محمد بن الحسن، (ت، ٤٦٠هـ)، المبسوط في فقه الامامية، المكتبة المركزية، (طهران، ١٣٧٨) ج٢، ص ٣٦٠.

(٨) معركة الجمل: وقعت هذه المعركة في سنة ٣٦ هـ بين جيش الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) والجماعة التي ثارت عليه مطالبة بدم عثمان بن عفان ومن هؤلاء الجماعة طلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة حيث التقى الفريقان عند موقع قريب من البصرة يسمى(الخريب) كانت السيدة عائشة في هودجها على ظهر جمل يلوذ به المحاربون لذلك سميت بهذه التسمية نسبة إلى الجمل الذي كانت تركبه السيدة عائشة خلال الموقعة، وقد سميت ايضا بالفتنة الكبرى ،ينظر: ابن قتيبة ، الامامة والسياسية، ج١، ص١٢٨، ابن الاثير ، الكامل، ج٣، ص١٨٨، ٢٤٤.

(٩) معركة صفين: بعد تولي الإمام علي بن أبي طالب زمام خلافة الدولة العربية الإسلامية في نهاية عام ٣٥هـ عزل الإمام بعض الولاة وأقر البعض الاخر ومن جملة الولاة الذين عز لهم الإمام علي ، معاوية بن أبي سفيان عزله عن ولاية الشام غير أن معاوية امتنع عن بيعة الإمام علي(عليه السلام) ورفض التنازل عن ولاية الشام ورفع قميص عثمان بن عفان في مساجد الشام وطالب الإمام علي (عليه السلام) بتسليمه قتلة عثمان بن عفان ليقوم معاوية باقامة الحد عليهم فارسل الإمام علي(عليه السلام) إلى اهل الشام يدعوهم إلى مبايعته وحقن دماء المسلمين ولكنهم رفضوا ذلك فقرر الإمام السير اليهم بقواته وحملهم على الطاعة وعدم الخروج على جماعة المسلمين والتقت قوات الطرفين عند (صفين) وهو موضع بقرب الرقة على شاطئ الفرات من الجانب الغربي بين الرقة وبالس وبدأالقتال وانتهى بقبول التحكيم، ينظر: المنقري، نصر بن مزاحم ،(ت٢١٢هـ) ، صفين، تحقيق عبد السلام هارون، ط٢/، المؤسسة العربية للنشر والطبع (د.م، ١٣٨٣هـ)، ص٧٧-٢٧٢؛ ابن قتيبة، الامامة والسياسية، ج١، ص٨٢- ٢١٥؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٤١٤.

(١٠) معركة النهروان: بعدما اعلن عمرو بن العاص قراره في رفض الإمام علي(عليه السلام) وتثبيت معاوية بالخلافة نشأ خلاف في التحكيم وقد رفض فريق من جند الإمام علي(عليه السلام) التحكيم بعد ان اجبروا على قبوله خرجوا عن طاعته، فعرفوا لذلك باسم الخوارج الذين رفعوا شعار لا حكم الا لله وقاموا بترويع العامة وقتل النساء والاطفال واصحاب رسول الله(صلى الله عليه وآله) كعبد الله بن جناب، قرر الإمام علي(عليه السلام) قتالهم بعد ان فشلت دعوات الإمام لهم بالعودة إلى كنف الامة والتفاهم بجيشه في النهروان فهزمهم ،ينظر: الطبري، تاريخ الرسل، ج٤، ص٥٥-٧٠؛ يا قوت ، معجم البلدان ج٥،، ص٣٢٤- ٣٢٥.

(١١) الانساب، ج٢، ص٧٢.

المؤمنين(عليه السلام) وشهد معه الجمل والنهروان))[1].

وكان ابن عبد البر قد ذكر في كتابه الاستيعاب ترجمة عبد الله بن عباس ان عقيلاً بن أبي طالب شهد الجمل وصفين مع أمير المؤمنين(عليه السلام)[2].

ويرى المدني ان عقيلاً لم يشترك مع أخيه الإمام علي في حروبه وذلك لاعفاء الإمام علي أخيه عقيل ربما بسبب فقدان البصر أو غيره بقوله: ((إنّ عقيلاً بن أبي طالب لم يشهد مع أخيه أمير المؤمنين(عليه السلام) شيئاً من حروبه ايام خلافته وعرض نفسه وولده عليه فاعفاه ولم يكلفه حضور الحرب))[3].

ويروي لنا أبو رافع محمد بن سلام باسناده عن عون بن عبد الله عن ابيه رواية انفرد بها وذكرها القاضي النعمان المغربي، انه سئل عن تسمية من شهد مع علي(عليه السلام) حروبه من المهاجرين والانصار الذين بشرهم رسول الله(صلى الله عليه وآله) بالجنة ومن التابعين ومن افاضل العرب وكان عالماً بذلك فقال: ((شهد معه من بني عبد المطلب: الحسن والحسين(عليهما السلام) اللذان قال رسول الله(صلى الله عليه وآله) فيهما انهما سيدا شباب اهل الجنة ومحمد بن الحنفية الذي قال رسول الله(صلى الله عليه وآله) لعلي(عليه السلام): ان سيولد لك غلام بعدي فسمه باسمي وكنه بكنيتي فسماه محمداً وكناه أبو القاسم، وعقيل بن أبي طالب، وعبد الله بن عباس[4]...))[5].

وثمة رواية أوردها بعض المؤرخين ان عقيلاً كان مع جيش معاوية يوم صفين الا انه لم يقاتل حيث يقول في ذلك ابن عنبه: ((إنّ عقيلاً شهد صفين مع معاوية بن أبي سفيان غير انه لم يقاتل معه، ولم يترك نصح أخيه الإمام علي(عليه السلام) والتعصب له، فروي ان معاوية قال يوم صفين: لا نبالي وابو يزيد معنا، فقال عقيل: وقد كنت معكم يوم بدر فلم اغن عنكم من الله شيئاً))[6].

وهذه الرواية تفتقد إلى السند ويبدو انها من مواصفات الدولة الاموية ولذا انها ضعيفة ولا يمكن الأخذ بها لما عرف عن عقيل من صلابة الموقف وقوة الأرادة وانه يعرف الحق مع أخيه الإمام علي(عليه السلام).

وقد نبّه المؤرخ إلى انها ليست مسندة ولا يعرف لها متن هي بينة الضعف بقوله: ((إنّه ليس هناك ثمة صحة لما رواه المتساهلون في النقل من كون عقيل بن أبي طالب كان مع معاوية بصفين فأنه لم يتأكد اسناده ولاعرف متنه))[7].

ثم ان هناك بعض الشواهد التي تعنينا في نفي هذه الاخبار وأولها هو الرسالة التي بعثها عقيل بن أبي طالب إلى أخيه الإمام علي(عليه السلام) وقد كتبت هذه الرسالة وذلك عندما اغار الضحاك بن قيس الفهري[8] على

---

(١) الديار بكري، حسين بن محمد ، (ت ،٩٩٠هـ)، الخميس في احوال أنفس نفيس، مؤسسة شعبان (بيروت، د.ت) ، ج١، ص١٦٧.

(٢) الاستيعاب، ج٢، ص٣١٢.

(٣) الدرجات الرفيعة، ص١٥٤.

(٤) عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي أبو العباس بن عم الرسول الله(صلى الله عليه وآله) امه ام الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية ولد وبنو هاشم بالشعب قبل الهجرة بثلاث وقيل بخمس والاول اثبت روي في الصحيح عنه ان النبي(صلى الله عليه وآله) ضمه إليه قال اللهم علمه الحكمة وكان يقال له حبر العرب ويقال ان الذي لقبه بذلك جرجير ملك المغرب وكان قد غزا مع عبد الله بن أبي السرح افريقية فتكلم مع جرجير فقال له ما ينبغي الا ان تكون حبر العرب ويقول آخر حبر الأمة ذكر ذلك بن دريد في الاخبار المنثورة وكان ذلك سنة سبع وعشرين وقال ابن منده كان ابيض طويلاً مشربا صفره جسيما وسيماً صبيح الوجه له وفرة يخضب بالحناء شهد مع الإمام علي(عليه السلام) واقعة الجمل وصفين والنهروان توفي سنة خمس وستين وقيل سنة سبع وقيل ثمان وهو الصحيح في قول الجمهور وقال المدائني عن جعفر بن ميمون عن ابيه توفي عبد الله في الطائف فجاء طائر ابيض فدخل بين النعش والسرير فلما وضع في قبره واتفقوا على انه مات بالطائف سنة ثمان وستين واختلفوا في سنّه فقيل ابن إحدى وسبعين وقيل ابن اثنين وسبعين وقيل ابن أربع والأول هو الأقوى، ابن عبد البر، الاستيعاب، ج٣، ص٦٦؛ ابن حجر ، الاصابة، ج٤، ص١٢١- ١٣١.

(٥) ينظر المغربي، شرح الاخبار، ج٢، ص١٦- ٣٧.

(٦) عمدة الطالب، ص٣١.

(٧) الشهيد مسلم بن عقيل، ص٢٦.

(٨) روى الثقفي ان غارة الضحاك بن قيس بعد حكم الحكمين عمرو بن العاص وابي موسى الاشعري وقيل قتال النهروان وذلك ان معاوية لما بلغه ان الإمام علياً(عليه السلام) بعد واقعة الحكمين تحمل إليه مقبلا هاله ذلك فخرج من دمشق معسكراً، ثم وجه الضحاك بن قيس الفهري ويكنى ابا انيس حين بلغه ان علياً يدعو الناس إلى الخروج إليه، وان أصحابه مختلفون عليه وأمره ان يغير على الاعراب ممن كان على طاعة علي وعلى غيرهم ممن كان في طاعته ممن لقيه مجتازاً وان يصبح في بلد ويمسي في اخر ولا يقيم لخيل ان سرحت إليه وان عرضت له قاتلها وكانت تلك أول غارات معاوية فأقبل الضحاك إلى القطقطانه فيما بين ثلاثة الالاف إلى اربعة الاف وجعل يأخذ أموال الناس والاعراب وغيرهم ويقتل من ظن انه على طاعة علي او كان يهوى هواه حتى بلغ الثعلبية واغار على الحاج فأخذ امتعتهم ثم صار إلى القطقطانه منصرفاً ولقيه على طريق القطقطانة على طريق الحاج عمرو بن عميس بن مسعود ابن أبي عبد الله ابن مسعود فقتله فلما ولاه معاوية الكوفة كان يقول: يا اهل الكوفة انا أبو انيس قاتل ابن عميس يعلمهم بذلك انه لا يهاب القتل وسفك الدماء وأخذ طريق السماوة منصرفاً فلما بلغ علياً خبره قام في اهل الكوفة خطيباً فدعاهم إلى الخروج لقتال عدوهم ومنع حريمهم فردوا عليه رداً ضعيفاً ورأى منهم فشلاً وعجزاً فقال: وددت والله ان لي بكل عشرة منكم رجلاً من اهل الشام واني صرفتكم كما يصرف الذهب، ثم خرج يمشي إلى نحو الغريين حتى لحقه عبد الله بن جعفر بدابة فركبها ولحقه الناس بعد، فسرح لطلبه حجر بن عدي الكندي في اربعة الالاف اعطاهم خمسين درهماً، فسار حجر حتى لحق الضحاك نحو تدمر فقاتله فأصاب من اصحابه تسعة عشر رجلاً ويقال سبعة عشر وقتل من اصحاب علي رجلان انهما عبد الله وعبد الرحمن ابنا حوزه وهما من الازد وحجز الليل بينهم فهرب الضحاك في الليل واقام حجر يوماً أو يومين فلم يلق أحداً فانصرف، للمزيد ينظر: الثقفي، الغارات، ج٢، ص٤١٦- ٤٤٢؛ ابن أبي الحديد، شرح النهج، ج٢، ص١١٣- ١١٧.

الحيرة[1] وما والاها وما بلغه من خذلان أهل الكوفة لأخيه الإمام علي(عليه السلام) والتي اخبره فيها بملاقاته لعبد الله بن سعد بن أبي سرح[2] في نحو أربعين شاباً من أبناء الطلقاء[3] بغيتهم الالتحاق بمعاوية بن أبي سفيان ويخبر عقيل أخاه الإمام بخذلان أنصاره له فعرض عقيل على الإمام ان يأتي إلى العراق من المدينة المنورة هو وأولاده لنصرته وفيما يلي نص الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم

لعبد الله علي أمير المؤمنين من عقيل بن أبي طالب: سلام عليك فاني إحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، اما بعد فان الله حارسك من كل سوء وعاصمك من كل مكروه وعلى كل حال، اني خرجت إلى مكة معتمراً فلقيت عبد الله بن سعد بن أبي سرح في نحو من أربعين شاباً من أبناء الطلقاء فعرفت المنكر في وجوههم فقلت لهم: إلى اين يا ابناء الشائنين؟ أبمعاوية تلحقون؟ عداوة والله منكم قديماً غير مستنكرة تريدون بها إطفاء نور الله وتبديل أمره، فاسمعني القوم وأسمعتهم، فلما قدمت مكة سمعت اهلها يتحدثون ان الضحاك بن قيس اغار على الحيرة، فاحتمل من اموالهم ماشاء، ثم انكفأ راجعاً سالماً، فأف لحياةً في دهر جرّأ عليك الضحاك، وما الضحاك؟ الا فقع بقرقر.

وقد توهمت حيث بلغني ان شيعتك وانصارك خذلوك فاكتب الي يا بن أمي برأيك فان كنت الموت تريد تحملت اليك ببني اخيك وولد ابيك فعشنا معك ما عشت ومتنا معك اذا مت، فو الله ما أحب ان ابقى في الدنيا بعدك فواقاً، واقسم بالاعز الأجل ان عيشا نعيشه بعدك في الحياة لغير هنئ ولامرئ ولا بخيع والسلام عليك ورحمة الله وبركاته))[4].

وفعلا وصل هذا الكتاب إلى الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) وكتب الإمام رداً له وفيما يلي نص جواب الإمام علي(عليه السلام):

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى عقيل بن أبي طالب، سلام عليك فأني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو، اما بعد كلأنا الله واياك كلاءةً من غشاه بالغيب، انه حميد مجيد.

فقد وصل كتابك مع عبد الرحمن بن عبيد الأزدي تذكر فيه أنك لقيت عبد الله بن سعد بن أبي السرح مقبلاً من قديد في نحو من اربعين شاباً من أبناء الطلقاء ومتوجهين إلى المغرب، وان ابن أبي السرح طالما كاد الله ورسوله وكتابه، وصد عن سبيله وبغاها عوجاً، فدع ابن أبي السرح ودع عنك قريشاً وخلهم وتراكضهم في الضلال، وتجوالهم في الشقاق.

الا وان العرب قد أجمعت على حرب اخيك اليوم اجتماعها على حرب النبي(صلى الله عليه وآله) قبل اليوم، فأصبحوا قد جهلوا حقه وجحدوا فضله، وبادروه العداوة، ونصبوا له الحرب، وجهدوا عليه كل الجهد وجروا عليه جيش الأحزاب.

اللهم فاجز قريشاً عني الجوازي، فقد قطعت رحمي وتظاهرت عليّ ودفعتني عن حقي، سلبتني سلطان ابن امي، وسلمت ذلك إلى من ليس مثلي في قرابتي من الرسول وسابقتي في الإسلام، إلاّ أن يدّعي مدع مالا أعرفه، ولا أظن الله يعرفه، والحمد الله على كل حال.

وأمّا ما ذكرت من غارة الضحاك على أهل الحيرة، فهو أقل وأذل من ان يلم بها أو يدنو منها ولكنه (قد كان) أقبل في جريدة خيل فأخذ على السماوة حتى مر بواقصة وشراف[5] والقطقطانة[6] فما والى ذلك الصقع فوجهت إليه جنداً كثيفاً من المسلمين، فلما بلغه ذلك فر هارباً فلحقوه ببعض الطريق وقد امعن، وكان ذلك حين طفلت الشمس للإياب، فتناوشوا القتال قليلاً، كلا ولا فلم يصبر لوقع المشرفية وولى هارباًوقتل من اصحابه تسعة عشر رجلاً ونجا جريضاً بعد ما أخذ منه بالمخنق(ولم يبق منه غير الرمق) فلأياً بلأي ما نجا.

---

(١) الحيرة: بالكسر ثم السكون مدينة كانت على بعد ثلاثة اميال من الكوفة على موضع يقال له النجف والحيرة حدها من الانبار في ايام ملك المناذرة، ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٣٢٨.

(٢) وهو عبد الله بن سعد بن أبي السرح بن الحارث بن حبيب بن خزيمة بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي وكان إسلامه قديماً وكتب للرسول(صلى الله عليه وآله) بعض رسائله ثم افتتن وخرج من المدينة إلى مكة مرتداً فأهدر النبي(صلى الله عليه وآله) دمه يوم الفتح، فجاء عثمان بن عفان إلى النبي(صلى الله عليه وآله) فاستأمن له فأمنه وكان أخاه من الرضاعة وقال يا رسول الله(صلى الله عليه وآله) تبايعه فبايعه رسول الله(صلى الله عليه وآله) يومئذ على الإسلام وقال الإسلام يجب ما كان قبله استعمله رسول الله(صلى الله عليه وآله) على الخمس، ولاه عثمان ولاية مصر بعد عمرو بن العاص فنزلها وابتنى بها داراً فلم يزل والياً بها حتى قتل عثمان، مات سنة تسع وخمسون للهجرة في أخر سني معاوية، ابن سعد، الطبقات ، ج٧، ص٤٦٩.

(٣) طليق: والجمع طلقاء ومعنى الطلقاء: الاسرى العتقاء والطليق هو الاسير الذي اطلق عنه اساره و خلى سبيله وفي حديث حنين: خرج ومعه الطلقاء هم الذين خلى عنهم يوم فتح مكة واطلقهم فلم يسترقهم، واحدهم طليق وهو الاسير اذا اطلق سبيله، وفي الحديث: الطلقاء من قريش والعتقاء من ثقيف كانه ميّز قريشاً بهذا الاسم حيث هو أحسن من العتقاء والطلقاء: الذين ادخلوا في الإسلام كرها ينظر: ابن سعد الطبقات، ج١، ص٢٢٧.

(٤) الثقفي، الغارات، ج٢، ص٤٢٨- ٤٣٠؛ ابن قتيبة، الامامة والسياسة، ج١، ص٧٤؛ البلاذري، انساب الاشراف، ج٢، ص ٣٣٢؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٢، ص١١٩.

(٥) واقصة وشراف: موقعان لبني وهب في نجد على طريق الاحساء، ياقوت، معجم البلدان،ج٣، ص٣٣١.

((٦) القطقطانة: بالضم للقافين وهي موضع بين القادسية والسماوة على طريق عين التمر إلى الشام ، ياقوت،معجم البلدان، ج٤،ص٣٧٤.

واما ما سألتني أن اكتب اليك برأيي فيما انا فيه، فان رأيي جهاد المحلين حتى القى الله، ولا يزيدني كثرة الناس معي عزة ولا تفرقهم عني وحشة، لأني محق والله مع الحق، ووالله ما أكره الموت على الحق، وما الخير كله بعد الموت الا لمن كان محقاً.

وأما ما عرضت به علي من مسيرك إليَّ ببنيك وبني ابيك فلا حاجة لي في ذلك فأقم راشداً محموداً، فوالله ما أحبّ ان تهلكوا معي ان هلكت، ولا تحبسن ابن امك ولو اسلمه الناس متغشياً ولا متضرعاً (ولا مقراً للضيم واهناً، ولا سلس الزمام للقائد ولا وطئ الظهر للراكب المعتقد) إني لكما كما قال اخو بني سليم[1]:

فإن تسأليني كيف انت فأنني

صبور على ريب الزمان صليب

يعز عليّ أن ترى بي كآبة

فيشمت عادٍ أو يساء حبيب))[2].

ونجد في جواب الإمام علي (عليه السلام) لأخيه عقيل أنّ الضحاك لم يدنو من الحيرة وانما وصل إلى اطراف السماوة ونجد جانب التضرع لعقيل لله تعالى ان يحيمه وأهله وأولاده من كل سوء بما آل إليه عبد الله بن أبي سرح ان يترك قريشاً على ضلالة وأخبره بأنه ليس به حاجة لخروجه مع أهله لنصرته بقوله: ((واما ما عرضت به علي من مسيرك إلى بنيك...)) ثم يستشهد الإمام ببيتين من شعر صخر بن شريد السلمي[3].

وان جواب الإمام علي (عليه السلام) يدل دلالة واضحة ان عقيلاً كان في المدينة قبل وبعد معركة صفين وانه لم يذهب إلى معاوية بن أبي سفيان كما قال بعضهم، اذ ان لموقفه هذا دلالة على حبه وتأييده لمسيرة الإمام علي(عليه السلام) وانه واقف على الحق وأنه مستعد أن يفدي الإمام بنفسه وبنيه و أخوته وقد أيد بن أبي الحديد قول الذين ذهبوا إلى أن عقيلاً لم يذهب إلى معاوية الا بعد أن استشهد الإمام علي (عليه السلام) وبعد عقد الإمام الحسن بن علي (عليهما السلام) مع معاوية الهدنة[4]، علماً ان غارة الضحاك كانت في أواخر سنة ٣٩هـ والامام استشهد في ٢١ رمضان ٤٠ هـ[5].

حادثة الحديدة المحماة

اما حديث الحديدة المحماة فان لها دلالة على عدالة الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) والمساواة بين الرعية حتى ولو كان من اهل بيته وعشيرته فهو يساوي بالعطاء بين الجميع ولا فضل لأحدٍ عند الإمام على الآخر وهذه هي سنة رسول الله(صلى الله عليه وآله) اذ يساوي بين الابيض والاسود والعربي والاعجمي والبعيد والقريب، وان حادثة الحديدة التي كثرت الكتابة عنها نجد عدالة الإمام واضحة لا لبس فيها.

ذكر ابن أبي الحديد حديثاً دار بين معاوية بن أبي سفيان وعقيل بن أبي طالب وكان ذلك بعد وفاة الإمام علي(عليه السلام) وقدوم عقيل على معاوية فسأله عن قصة الحديدة المحماة فبكى عقيل وقال: ((أقويت[6] واصابتني مخمصة[7] شديدة فسألته فلم تند صفاته[8] فجمعت صبياني وجئته بهم والبؤس والضر ظاهران عليهم فقال ائتني عشية لا دفع إليك شيئاً فجئته يقودني احد ولدي فأمره بالتنحي ثم قال: ألا فدونك وكنت حريصاً قد غلبني الجشع[9] وأظنّها صرة فوضعت يدي على حديدة تلتهب ناراً فلما قبضتها نبذتها وخِرت[10] كما يخور الثور تحت يد جزاره فقال لي ثكلتك امك هذا من حديدة اوقدت لها نار الدنيا فكيف بك وبي غداً ان سلكنا في سلاسل جهنم ثم

(١) المقصود اخو بني سليم هنا، هو صخر بن شريد السلمي وهو اخو الشاعرة الخنساء وقد رثته في شعرها كثيراً، أبو الفرج، الاغاني، ج١١، ص٨؛ ابن أبي الحديد، شرح النهج، ج١٠ ، ص١٢٠.

(٢) ينظر: الثقفي، ابن قتيبة، الامامة والسياسية، ج١، ص٧٤؛ الغارات، ج٢، ص٤٢٨- ٤٢٩؛ البلاذري، انساب الاشراف، ج٢، ٣٣٢؛ ابن أبي الحديد، شرح النهج، ج٢، ص١١٣- ١١٩؛ البحراني، كمال الدين ميثم بن علي، (ت ٦٨٩ هـ) ،اختيار مصباح السالكين (شرح نهج البلاغة الوسيط) ، تحقيق هادي الاميني، (مشهد ،١٤٠٨هـ)، ص٥٢٢؛ المجلسي، بحار الانوار، ج٣٤، ص٢٨- ٣١.

(٣) ينظر: ابن أبي الحديد، شرح النهج، ج٢، ص١٢٠.

(٤) ابن أبي الحديد، شرح النهج، ج٢، ص١١٩- ١٢١؛ الحسيني، عبد الزهراء، مستدرك نهج البلاغة واسانيده، دار الاضواء، (بيروت، ١٤٠٥هـ) ج٣، ص٣٣٢.

(٥) اليعقوبي، التاريخ، ج٢، ص١٤٨.

(٦) أقويت: أي نفد زادي، ينظر: ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، (ت ٢٧٦هـ)، غريب الحديث تحقيق د. عبد الله الجبوري، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤٠٨هـ)، ج٢، ص٦٣.

(٧) مخمصة وهي المجاعة ويقال خمص فلان أي جاع (الطريحي، مجمع البحرين، ج١، ص٧٠٣).

(٨) الصفاة: الحجر الصلد الضخم يقال فلان (لاتندي صفاته) أي انه بخيل والجملة كناية عن امساكه(عليه السلام) عن بذل بيت المال لأخيه عقيل للمزيد ينظر: المجلسي، بحار الانوار، ج١١، ص٢٥٣، هامش ٤٢.

(٩)الجشع: الحرص الشديد ويكون على الأكل وغيره ، الفراهيدي ، كتاب العين، ج١، ص٢١٠.

(١٠) يخور من خوار وهو صوت الثور وما اشتد من صوت البقر والعجل، الفراهيدي، كتاب العين، ج٤، ص٣٠٣.

قرأ قوله تعالى (اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون)[1] ثم قال ليس لك عندي فوق حقك الذي فرضه الله لك الا ما ترى فانصرف إلى أهلك فجعل معاوية يتعجب ويقول هيهات هيهات عقمت النساء ان يلدن مثله))[2].

وقد تحدث الإمام علي(عليه السلام) عن هذه الحادثة وكيف قدم عقيل عليه وان علامات الفقر والحاجة كانت بادية عليه وعلى ابنائه فينقل الشريف المرتضى حديث الحديدة المحماة وفق كلام الإمام علي(عليه السلام) جاء فيها ((والله لقد رأيت عقيلاً وقد املق حتى استماحني من بركم صاعاً ورأيت صبيانه شعث الشعور غبر الألوان من فقرهم كأنما سودت وجوههم بالعظلم وعاودني مؤكداً وكرر علي القول مردداً فاصغيت إليه سمعي فظن اني ابيعه ديني و اتبع قياده مفارقاً طريقتي فاحميت له حديدة ثم ادنيتها من جسمه ليعتبر بها فضج ضجيج ذي دنف من ألمها وكاد ان يحترق من ميسمها فقلت له ثكلتك الثواكل يا عقيل أتئنُ من حديدة من الأذى ولا أئن من لظى))[3].

وهناك رواية مشابهة يرويها ابن شهر آشوب مفادها: ((وقدم عقيل على الإمام علي(عليه السلام) فقال لولده الحسن: اكس عمك فكساه قميصاً من قميصه ورداءً من اردیته فلما حضر العشاء قال عقيل: اعطني ما اقضي به ديني وعجل سراحي حتى ارحل عنك ، قال له فكم دينك يا ابا يزيد؟ قال مائة الف درهم))[4]. قال: ((والله ما هي عندي ولا املكها ولكن اصبر حتى اخرج عطائي، ولولا أنه لا بدّ للعيال من شيئ لا عطيتك كله فقال عقيل: بيت المال في يدك وانت تسوفني إلى عطائك وكم عطاؤك وما عسى ان يكون لو اعطيتنيه كله فقال: ما أنا وانت فيه الا بمنزلة رجل من المسلمين فقال له علي(عليه السلام) ان ابيت يا ابا يزيد ما اقول فانزل إلى بعض هذه الصناديق فاكسر اقفاله وخذ ما فيه فقال وما في هذه الصناديق قال فيها أموال التجار قال أتأمرني ان اكسر صناديق قوم قد توكلوا على الله وجعلوا فيها اموالهم فقال أمير المؤمنين أتأمرني ان افتح بيت مال المسلمين فأعطيك أموالهم وقد توكلوا على الله واقفلوا عليها وان شئت أخذت سيفك وأخذت سيفي وخرجنا جميعاً إلى الحيرة فان بها تجاراً مياسير فدخلنا على بعضهم فأخذنا ماله فقال أو سارق جئت قال: تسرق من واحد خير من ان تسرق من المسلمين جميعاً قال له أفتأذن لي ان اخرج إلى معاوية فقال له قد آذنت لك قال فأعني على سفري هذا قال يا حسن اعط عمك اربعمائة درهم فخرج عقيل وهو يقول:

سيغنيني الذي اغناك عني

ويقضي ديننا رب قريب))[5].

وفي نص آخر يقول الإمام علي(عليه السلام) ان اعطاء عقيل مبلغاً من بيت مال المسلمين هو خيانة للمسلمين جميعاً وقد أورد ابن أبي الحديد ذلك: ((قدم عقيل على أمير المؤمنين بالكوفة يسترفده فعرض عليه عطاءه فقال: إنما أريد من بيت المال فقال تقيم إلى يوم الجمعة ولما صلى(عليه السلام) الجمعة قال له: ما تقول فيمن خان هؤلاء أجمعين قال بئس الرجل قال: فانك أمرتني ان أخونهم واعطيك فلما خرج من عنده شخص إلى معاوية))[6].

ويروي المدني بسنده أنّ الإمام علياً(عليه السلام) قلل حصة عقيل بعدما علم ان عقيلاً يدخر شيئاً منه لعمل الحلوى فيذكر: ((روى ان علياً(عليه السلام) كان يعطيه- أي عقيل- في كل يوم ما يقوته وعياله فطلب منه أولاده مريساً[7] فجعل يأخذ كل يوم من الشعير الذي يعطيه أخوه قليلاً ويعزله حتى اجتمع مقدار ما جعل بعضه في التمر وبعضه في السمن وخبز بعضه ووضع لعياله مريساً فلم تطب نفوسهم بأكله دون ان يحضر أمير المؤمنين ويأكل منه فذهب إليه فلما قدم المريس بين يديه سأله عنه فحكى له كيف صنع فقال(عليه السلام): وهل كان يكفيكم ذلك بعد الذي عزلتم منه قال نعم، كان اليوم الثاني جاء ليأخذ الشعير

(١) غافر: الاية ٧١.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح النهج، ج١١، ص٢٥٣، ٢٥٤.

(٣) في شرح نهج البلاغة للامام محمد عبده جاء تفسير لبعض هذه المفردات: (عقيل أخوه وأملق: افتقر أشد الفقر وأستماحني: استعان والبر: القمح، وشعث جمع اشعث وهو من الشعر المتلبد بالوسخ والغبر بضم الغين جمع اغبر،: متغير اللون والعظلم كزبرج: سواد يصبغ به قيل: هو النيلج، أي النيلة والقياد: ما يقاد به الزمام والدنف بالتحريك: المريض والمسيم بكسر الميم وفتح السين: المكواة، ثكل كفرح: اصاب ثكلا بالضم وهو فقدان الحبيب أو خاص بالولد والثواكل: النساء، دعاء عليه بالموت لتألمه من نار ضعيفة الحرارة وطلبه عملا وهو يتناول شيء من بيت المال زيادة عن المفروض له يوجب الوقوع في نار وسجرها أي اضرمها والجبار وهو الله تعالى للانتقام ممن اعطاه، ولظى اسم لجهنم للمزيد ينظر: محمد عبده، شرح نهج البلاغة، مطبعة الاستقامة، (القاهرة، د.ت)، ج٢، ص٢١٧.

(٤) جاء عن ابن الاثير ان الإمام علي(عليه السلام) عرض على عقيل عطاءه اربعة الالاف درهم عند خروج عطاءه لكن دين عقيل كان يبلغ اربعون الف درهم وللمزيد ينظر: ابن الاثير، اسد الغابة ج٣٣، ص٤٢٣.

(٥) ابن شهر آشوب، مناقب ال أبي طالب، ج١، ص٣٧٦- ٣٧٧.

(٦) ابن أبي الحديد ، شرح النهج، ج٤، ص٩٤.

(٧) الخبز في الماء يمرسه مريساً: انقعه والمرس مصدر مرس التمر يمرسه ومرثه يمرثه اذا دلكه في الماء حتى ينماث ويقال للثريد: المريس لان الخبز يماث، ومرست التمر في الماء اذا انقعته ومرثته بيدك، ابن منظور، لسان العرب، ج٦، ص٢١٦.

فنقص منه أمير المؤمنين مقدار ما كان يعزل كل يوم وقال إذا كان في هذا ما يكفيك فلا تجعل لي أن أعطيك أزيد منه فغضب من ذلك فحمى له أمير المؤمنين حديدة ثم قربها من خده وهو غافل فجزع من ذلك وتأوه فقال أمير المؤمنين: مالك تجزع من هذه الحديدة المحماة وتعرضني لنار جهنم فقال عقيل: والله لأذهبن إلى من يعطيني تبراً[1] ويطعمني براً[2] ثم فارقه وتوجه إلى معاوية))[3].

ويصور المدني أن الحديدة قد قربت من عقيل على حين غفلة منه وهي درسٌ من دروس التربية أراد الإمام إعطاءه لعقيل في الحفاظ على المال العام وعدم التفريط به والحرص عليه حتى لو كان المحتاج إليه أخاه.

وعلى هذا فإن حديث الحديدة المحماة ليس فيه ما يدل على اقتراف عقيل إثماً أو خروجاً عن طاعة الإمام، وإنما أراد الإمام علي أمير المؤمنين(ﷺ) تهذيب عقيل بأكثر مما يهذب به عامة الناس، كما هو مطلوب من عقيل والمناسب لمقامه، فعرفه الإمام أن الإنسان ضعيف وأنه يئن من حرارة بسيطة في الحديدة المحماة بنارٍ صنعها الإنسان في الدنيا وهي لم تمسّ عقيل وإنما اقتربت من جسمه فيكف يتحمل عقيل نار الآخرة ولذ عليه ان يكبح النهمة ويكسر سورة الجشع والمكابدة للملمات القاسية وعقيل من بيت الوحي والنبوة والإمامة.

ويذكر المقرم ذلك بقوله: ((فحقيق بمثل عقيل وهو ابن الوحي التجنب حتى عن المكروهات ويروض نفسه بترك ذلك حتى تقتدي به الطبقات الواطئة وإن حسنات الأبرار سيئات المقربين وقد أراد أمير المؤمنين أن يوقف أخاه عقيلاً على هذا الخطر الممنع الذي حواه وقد ذهل عنه في ساعته وإلا فعقيل لن يقترف مأثماً حتى يكون ذلك عقوبة له))[4]، ويرى الهمداني أن موقف الإمام لا يعدو مخاشنة أخيه في الله تعالى لذا حاسبه أدق من الشعرة[5].

وهذا درس أعطاه الإمام علي(ﷺ) للناس كافة أنه أمين على أموالهم والرعية عنده سواء أكان من أهل بيته كعقيل أو غيره من الناس فهم في العطاء سواء ولا يمكن أن يعطي أحداً أكثر مماله من عطاء. وللمقارنة بين الروايات المذكورة نجد أن عقيلاً في الرواية الأولى لمعاوية أراد أن يبالغ في وصف حالة تألمه من الحديدة بأنه مسها في يده وخار وذلك لغرض أن يرفع من قيمة العدالة عند الإمام علي(ﷺ) في محضر معاوية، في حين نجد في الروايات التالية ومنها ما روي عن الإمام علي(ﷺ) أنه قرّبها منه على حين غفلة ولم تمس جسمه وأنه تحسس من شدة الحرارة القريبة من وجهه أو يده.

وكان الإمام علي يوزع ما يحصل عليه من ضياعه على أمهات أولاده وأولاده وأخوته وولد أخيه جعفر حيث ذكر القاضي الكوفي: ((عن عبد الله بن محمد بن الحنفية عن أبيه(ﷺ) أنه قال: كان أبي إذا جاءت غلته من ضياعه أخذ قوته لنفسه وقوت عياله وأمهات أولاده وأعطى الحسن والحسين قوتهما وأعطاني قوتي وأعطى من بلغ من ولده وأعطى عقيلاً وولده وولد جعفر وأم هاني وولدها وأعطى جميع ولد عبد المطلب من كان منهم يحتاج إلى أن يعطيه وإلى سائر بني هاشم وإلى ولد المطلب بن عبد مناف وولد نوفل بن عبد مناف وإلى جماعة من قريش من كان منهم يحتاج إلى الصلة وإلى أهل بيوت من الأنصار وغيرهم حتى لا يبقي منه شيئاً))[6].

(١) التبر: الذهب والفضة قبل ان يعملا، ويقال كل جوهر قبل ان يستعمل تبر للمزيد ينظر: الفراهيدي، كتاب العين، ج٨، ص١١٧.
(٢) البر: بالضمة القمح، الطريحي، مجمع البحرين، ج١، ص١٨٤.
(٣) الدرجات الرفيعة، ص١٥٨.
(٤) المقرم ،الشهيد مسلم بن عقيل، ص٢٩.
(٥) الهمداني، احمد الرحماني، الإمام علي بن أبي طالب ، دار المسير للطباعة، (طهران، ١٩٩٧م/ ١٤١٧هـ)، ص٤٦٨.
(٦) القاضي الكوفي، مناقب أمير المؤمنين، ج٢، ص٦٨.